

أقبل.. فهيا نُقْبِل



مرّت الشهور والأسابيع، والأيام والساعات والدقائق والثواني.. وسرعان ما انتهى العام،
أقبل رمضان المعظم علينا ضيفاً عزيزاً كريماً.. أقبل ونحن غافلون، غير مستعدين
لإستقباله، أثقلتنا الدنيا، فاثقلنا إلى الأرض، وأعيتنا الذنوب والآثام فتمادينا في
طريقنا المظلم، من نفق المعاصي والغرور، فما أحوجنا إلى أن نعود إلى طريق الهدى المنير،
ما أحوجنا إلى أن نقرب من الله الرحمن الرحيم الغفور، أمّا أن لنا أن نعود ونقترب؟! أما
أن لهذه القلوب التي قست وتحجرت أن تخشع لذكر الله وترق؟! أمّا أن للعين أن تذرف
دموعها؟! أمّا أن للسان أن يسبح بذكر ربه؟ أمّا أن للتائبين أن يهتدوا؟! أمّا أن لأهل
الظلام أن يُقبلوا على طريق النور؟! أمّا أن للجوارح أن تستغفر وتكف عن الآثام؟! أمّا أن
للسان أن يقلع عن الغيبة وسب عباد الله وقذفهم؟! أمّا أن لأهل الهوى أن يعقلوا؟! أمّا أن
لأصحاب النزوات والشهوات أن يُقلعوا؟! مع إقبال شهر رمضان الكريم طللت أفكاري في نفسي
وبني جلدتي وأتساءل: هل يمكن أن نفوز؟ هل يمكن أن نقتنص الفرصة فلربما لا تعود؟! ومن
يدري هل سيبلغنا الله رمضان بعد ذلك أم سينتهي الأجل فلا نملك الفرصة؟! وبينما أنا في حيرة
من أمري إذا بي أقول في نفسي: نعم.. نعم.. يمكن إقتناص الفرصة.. نعم إن ربي لغفور
ودود، إن ربي يفرح بتوبتي كما بشرني حبيبي (ص).. نعم إن ربي نهاني عن اليأس والقنوط،
وأخبرني بأنّه يغفر الذنوب جميعاً، فقال سبحانه: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنََّّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (الزمر/ 53). إنَّ
الإنسان منذَّ في حياته الدنيا كمن يسير في طريق صعبة وشاقة، ويحتاج فيه إلى الزاد كي
يصل إلى مراده وغايته العظمى ألا وهي الجنة، إنَّه يحتاج إلى زاد الإيمان، وكلما نقص
الزاد تزوَّد المسافر في طريقه، وإلا هلك بسبب فقدان الزاد، فلا بدَّ من تجديد الإيمان
وتزويده، لأنَّه يزيد وينقص، فقد أخبرنا الله عزَّ وجلَّ بحقيقة زيادة الإيمان وبقوله تعالى:
(وَلَمَّا رَأَى الْأُمِّيُّونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا
وَتَسْلِيمًا) (الأحزاب/ 22).